الأهرام

المصدر: الحيـــــــــــاة

التاريخ: ٥ ربيع الثانـــي ١٤١٣هـ

محمود السيد الدغيم*

■ انتشر المسلمون في عموم بلغاريا (الحالية) وما جاورها من البلدان، وشكلوا اكثرية سكان تراقيا ومكدونيا وسواحل البحر الاسود. ودليل ذلك الاحصاءات الواردة في السجلات الرسمية، ويعود تاريخها الى القرن الماضي وبداية هذا القرن. ففي ولاية «الطونة» سنة ١٨٧٧ كان يوجد ٢.٢٥ مليون نسمة، شكّل المسلمون ١.١٣ مليون نسمة والبلغار وغير المسلمين ١.١٢ مليون نسمة، وامتلك المسلمون ٧٠ في المئة من اراضي الولاية الواقعة بين نهر الدانوب وجبال البلقان.

وعندما قامت الحرب بين الروس والعثمانيين سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٨م، خرقت القوات الروسية كل القواعد الانسانية اثناء الحرب، فمارست حرب الابادة ضد المسلمين الذين لم يجدوا امامهم سوى احد خيارين اولهما الموت قتلاً بايدي الروس ومن والاهم من المؤمنين بنظرية «التطهير الديني»، وثانيهما الهجرة قبل وصول القوات الروسية المدعومة من قبل البلغار المحليين، والمتمتعة بغطاء اوروبي متواطئ يغض الطرف عن جرائمها ويقدم لها الدعم المادي والمعنوي سراً وجهراً (مثلما يجري الآن في البوسنة - الهرسك وبسمونه «التطهير العرقي» تضليلاً للرأي العام).

وتمكنت العصابات البلغارية غير النظامية من قتل ٥٠ الف نسمة من المسلمين الذين كانوا يسكنون في المنطقة الواقعة بين مدينتي فيليبة «Filibe»، ومصطفى باشا، ثم غيّر البلغار اسم مدينة فيليبة اعتاناً في التضليل فسموها بلوفديف «Plovdiv»، اما مدينة مصطفى باشا فسموها سفيلن غراد «Svilengrad»، وهي آخر المحطات البلغارية على الخط الحديدي بين صوفيا وادرنة التركية. وبلغ عدد الذين قضوا نحبهم في بلغاريا عموماً حوالي ٤٥٠ الف مسلم ومسلمة بسبب الجوع والبرد والمرض ومضاعفات التشرد والتهجير والاغتيال، حتى قيل ان الدولة البلغارية اقيمت على الهياكل العظمية والدماء المسفوحة، عملاً بنظرية الامير السلافي جيبر كاسكي الذي كان يردد: «لا يمكن قلي البيضة من دون كسر قشرتها».

ولم تقتصر اعمال العنف على القتل فقط وانما مارس البلغار - بدعم من الروس - عمليات السلب والنهب والاغتصاب والتمثيل بالجثث. وتفيد احصاءات سنة ١٨٨١م بان المسلمين كانوا يشكلون نسبة ٨٢ في المئة في بلدة اسكي جمعة «Eski cumaa»، و٦٣ في المئة في بلدة برافادي، و٦٩ في المئة في رازغراد «Razgrad»، التي كانت تسمى هزار غراد «Hezar Grad»، و٥٣ في المئة من مدينة روسجوك «Ruscuk»، التي اصبح اسمها روسي «Ruse»، و٧١ في المئة في مدينة سيلسترة «Silistra»، و٦٨ في المئة في مدينة شومن «Sumen»، التي كانت تسمى شومنو «Sumnu».

وهكذا نجد ان المسلمين كانوا اكثرية، وما زال عددهم مرتفعاً في المناطق البلغارية الشرقية والشمالية الشرقية والجنوبية حتى الآن على رغم المصائب التي تتابعت عليهم. ومن الجدير بالذكر ان معاهدة الصلح التي وقعت في برلين سنة ١٨٧٨م اقرت قيام ولاية «طونة» «الدانوب» واعترفت بضمان حقوق المسلمين الذين اطلق عليهم اسم الاتراك بغض النظر عن حقيقة عرقهم، اذ اعتبروا كل مسلم تركياً أي عثمانياً. لكن قرارات المعاهدات شيء والتصرفات على الارض شيء آخر، فما ان انسحبت القوات الروسية سنة ١٨٧٩م من بلغاريا حتى بدأت اعمال التصفية الجسدية على اساس ديني بشكل مخالف للاعراف والقوانين الانسانية. وساعدت السلطات البلغارية المتمردين اذ سمحت للعناصر البلغارية باقتناء السلاح وحرمته على المسلمين مما سهل عمليات الاغتيال والتهجير. وازاء تلك الاعمال الوحشية بدأت الهجرة براً وبحراً وشهد ميناء فارنا "VARNA" هجرات جماعية بلغت ١٨٠٣٣ نسمة سنة ١٨٧٩م. اما عن طريق البر فكانت الحركة كثيفة جداً، قال عنها القنصل الفرنسي لافون الذي كان في ادرنة، في تقريره الصادر في ١٨٨٣/١٠/٣١م: «لقد مر من ادرنة في ظرف ثلاثة اشهر نحو ٢٠٠ الف مهاجر ومهاجرة. ان المهاجرين من بلغاريا وشمال اليونان يزدادون يوماً بعد يوم بسبب فقدان الامن والاستقرار». اما القنصل الفرنسي في صوفيا فقال: «ان عدد الذين نزحوا من بلغاريا حتى ١٨٨٤/٤/٣م بلغ نحو ٦٠٠ الف نسمة وزيادة، واصبحت البلاد جرداء بين نهر الدانوب وجبال البلقان، ومن سفوح البلقان حتى صوفيا، بعد تهجير الايدي العاملة». وبلغ عدد المهجرين من سنة ١٨٩٣ الى سنة ١٩٠٢م ٧٠٦٠٣ نسمة حسبما ورد في احصاء الحكومة البلغارية. وبلغ عدد القتلى المسلمين في حرب البلقان سنة ١٩١٢ - ١٩١٣ ما لا يقل عن ٢٠٠ الف نسمة، وابيد في مكدونيا وحدها ٦٠ الف مسلم البانى و٤٠ الف مسلم تركي، وفي تراقيا الغربية وتراقيا الشرقية حوالي ١٠٠ الف مسلم، لأن القوات البلغارية وصلت حتى بلدة «جاطالجة» واجتاحت ادرنة. وهجر من مسلمي تراقيا الغربية ٢٠٠ الف مسلم ومسلمة، ومن مكدونيا ٢٤٠ الف نسمة. ولم تتوقف مأساة المسلمين في بلغاريا، بل استمرت حتى سنة ١٩٢٥

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

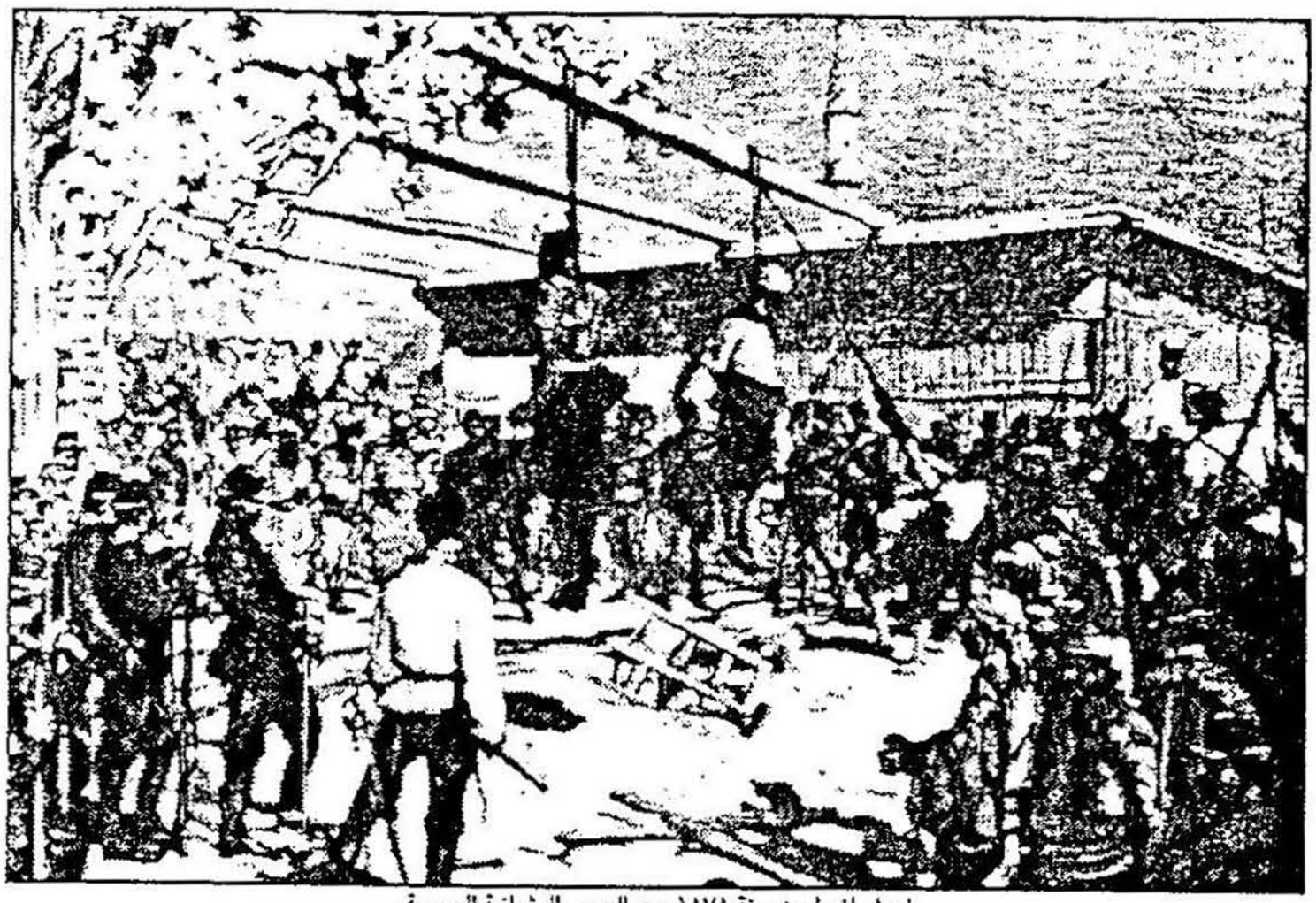

اعدام المسلمين سنة ١٨٧٨ بعد الحرب العثمانية الروسية.

عندما وقعت تركيا وبلغاريا اتفاقية سميت «اتفاقية الاقامة» تتعهد بموجبها الحكومة البلغارية بعدم ممانعة الاتراك الراغبين بالهجرة الى تركيا من الهجرة والسماح لهم باخذ اموالهم المنقولة. وكانت الاتفاقية هذه حبراً على ورق اذ انشات القوات المسلحة البلغارية منظمتين شبه عسكريتين هما: منظمة «حراس الوطن» في الشمال ومنظمة «ثوار تراقيا» في الجنوب، مارستا الارهاب ضد المسلمين من سنة ١٩٢٣ وحتى سنة ١٩٣٦م تحت شعار «بلغاريا للبلغار» و«لا حق بالحياة في بلغاريا الا للبلغار».

وذكرت تلك الفظائع جريدة «دلي اورمان» التي كانت تصدر في مدينة راز غراد باللغة العثمانية. وكان صاحبها ومديرها المسؤول محمود نجم الدين، ومحررها احمد احسان ومدة صدورها من ١٩٢٢/١٠/٢٠ حتى ١٩٣٤/٢/١. وجريدة «رهبر» العثمانية التي كانت تصدر في صوفيا اسبوعياً برئاسة محمد جليلوف. وصدرت في ١٩٢٨/١/١٤ واغلقت بعد ١٩٣٣/٧/٢٩.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

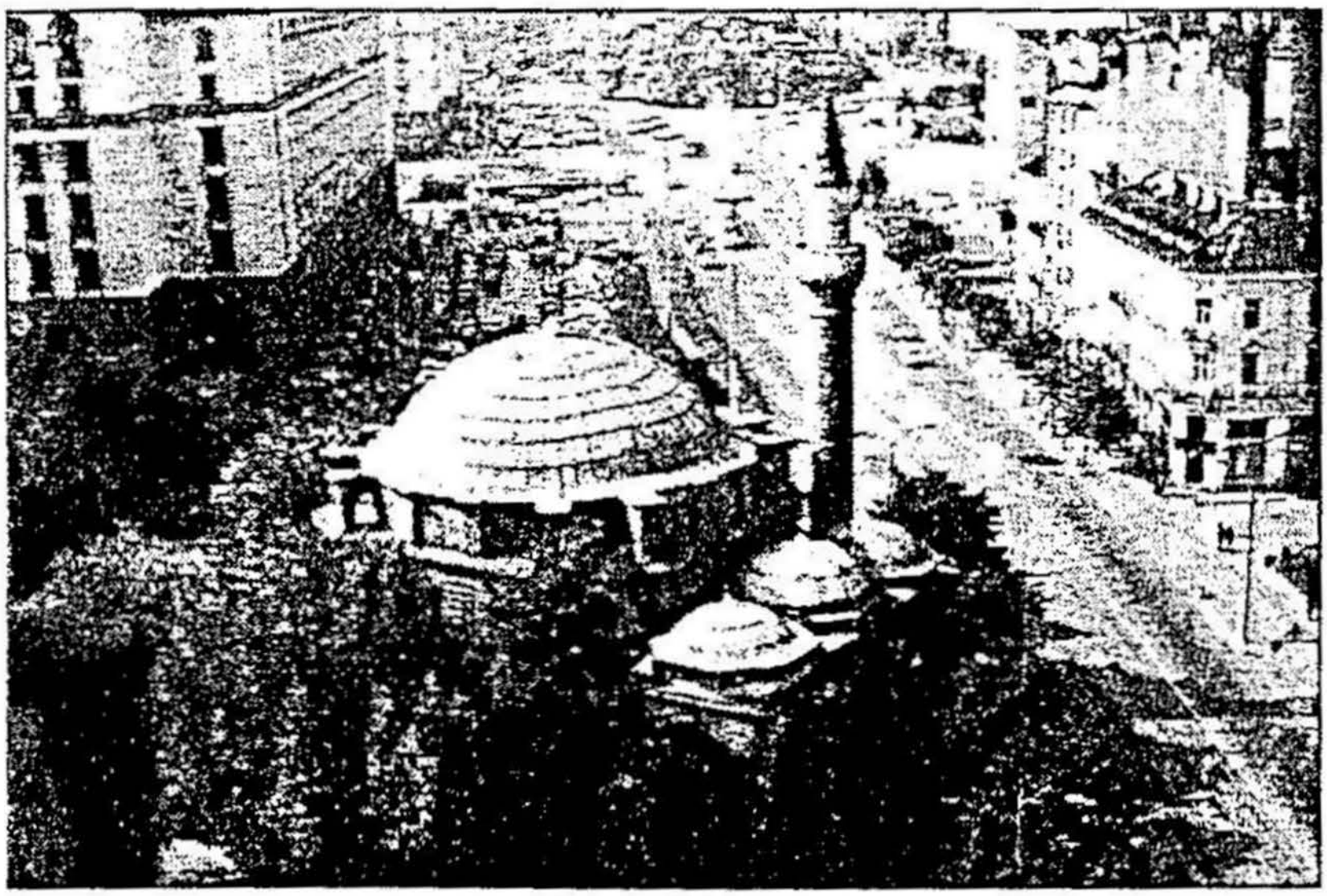

جامع بانيا باشي في صوفيا.

واستمر الضغط البلغاري اللاانساني على المسلمين، وتواصل نزوح المهجرين الذين بلغ عددهم ١٩٨٦٨٨ نسمة من سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٣٩، وبلغ مجموع المهجرين ٢١٣٥٣ نسمة ما بين ١٩٤٠ و١٩٤٩. وبعد ان سلكت بلغاريا طريق الشيوعية اعتباراً من سنة ١٩٤٤، تلقى المسلمون اعنف صدمة اذ استولى البلغار على املاك المسلمين.

وفي سنة ١٩٥٠ قررت الحكومة البلغارية تهجير ٢٥٠ الف مسلم. وبعد مفاوضات مطولة قبلت تركيا استقبال ٥٢١٨٥ نسمة سنة ١٩٥١ و١٠٢٢٠٨ نسمة سنة ١٩٥٢. وعمدت بلغاريا الى تهجير الفجر البلغار الى تركيا، فاغلقت انقرة حدودها في ١٩٥١/١١/٨ واعادت فتحها في ١٩٥٣/٢/٢٠. وتبين ان نسبة ١١ في المئة من المهاجرين هاجرت ارادياً ونسبة ٨٩ في المئة اضطرارياً بسبب المعاملة البلغارية السيئة. وكانت نسبة الذين باعوا املاكهم لا تتجاوز ٢,٥ في المئة. واغلق باب الهجرة المنظمة من سنة ١٩٥٣ وإن كانت استمرت بشكل غير منظم. ومع ذلك بلغ عدد المهجرين ١٦٠٧٦٦ نسمة من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٦٠، وبلغ عددهم ١٣٠ الف نسمة من سنة ١٩٦٩ الى سنة ١٩٨٠.

وفي سنة ١٩٨٥ اتخذت الحكومة البلغارية قراراً تعسفياً يقضي بتغيير اسماء المسلمين واستبدالها باسماء

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

«سلافية» بقوة السلاح. وانتشرت القوات المسلحة البلغارية في اماكن تواجد المسلمين وراحت تشرف على عملية الاستبدال في سجلات النفوس، وتم تغيير البطاقات الشخصية ببطاقات جديدة تحمل الاسماء الجديدة، وجمعت البطاقات القديمة وجوازات السفر والوثائق الشخصية، وذلك في سبيل تغيير مكونات الهوية الاسلامية لمسلمي بلغاريا. لكن المسلمين تصدوا لهذه الاجراءات فاحاطت بهم القوات البلغارية ودمرت المنازل فوق رؤوس اصحابها واراقت دماء المسلمين في جبال «رودوب» والسهول المجاورة لنهر الدانوب «الطونة» وسفوح البلقان.

لكن تركيا تحركت سياسياً عبر مؤتمر الحلف الاطلسي «ناتو» الذي انعقدت دورته الحادية والثلاثون في سان فرانسيسكو، واصدر قراراً يدين التصرفات البلغارية «ويطلب من الحكومة البلغارية وضع حد لهذه الاعمال التعسفية..» وصوت لصالح القرار ١٨٠ عضواً من اصل ١٨٤، وامتنع عن التصويت ثلاثة نواب من اليونان ونائب بريطاني واحد. كما تحركت منظمة المؤتمر الاسلامي، ودعمت الدول الاسلامية حقوق المسلمين في بلغاريا، وحشدت تركيا قواتها العسكرية على الحدود البلغارية. وازاء الموقف الاسلامي الموحد تراجعت بلغاريا عن قراراتها التعسفية، وبدأ بعض المسلمين الهجرة المعاكسة من تركيا الى بلغاريا.

---

*باحث سوري مقيم في لندن.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية